

التصنيف بالحافظ ابن حجر وكتابه نخبة الفكر

الدرس 1

أهداف الدرس

- أن أتعرف المصنفين في علم مصطلح الحديث ومصنفاتهم.
- أن أتعرف حياة الحافظ ابن حجر.
- أن أدرك سبب تأليف نخبة الفكر وشرحها نزهة النظر.
- أن أخلص النية في طلب العلم، وأتخلق بآداب المحدث والطالب.

تمهيد

كثرت التصنيفات في مصطلح الحديث، وهي متفاوتة فيما بينها ترتيباً وتهذيباً وتيسيراً، فكان ذلك داعياً ليضع الحافظ ابن حجر رحمه الله ملخصاً للمهم من مسائل علم الحديث سماه «نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر» على ترتيب ابتكره وسبيل انتهجه، ضم إليه شوارد الفرائد وزوائد الفوائد، ثم وضع للملخصه شرحاً يحل رموزه، ويفتح كنوزه سماه: «نزهة النظر شرح نخبة الفكر».

فما أهمية كتاب: «نزهة النظر شرح نخبة الفكر» ضمن جهود العلماء في التصنيف في علم الحديث؟ وما الذي تميز به؟ وما أثر مؤلفه في هذا العلم وغيره؟

المتن

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ عَالِمًا قَدِيرًا، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي أَرْسَلَهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا».

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ التَّصَانِيفَ فِي اصطلاح أهل الحديث قَدْ كَثُرَتْ، وَبُسِطَتْ وَاخْتُصِرَتْ، فَسَأَلَنِي بَعْضُ الإِخْوَانِ أَنْ أُلْخِصَ لَهُ الْمَهْمُ مِنْ ذَلِكَ، فَأَجَبْتُهُ إِلَى سُؤَالِهِ رَجَاءَ الْإِنْدِرَاجِ فِي تِلْكَ الْمَسَالِكِ».

الفهم

الشرح:

التَّصَانِيفُ: جمع تصنيف ، والمقصود: المصنفات التي ألفها العلماء المحدثون .

اصْطِلَاحُ: اتفاق طائفة معهودة على أمر معهود بينهم .

بَعْضُ الإِخْوَانِ: قيل: هو عز الدين بن جماعة، وقيل: شمس الدين الزركشي، وقيل: غير ذلك .

استخلاص المضامين:

أستخلص من المتن سبب تأليف نخبة الفكر .

التحليل

جريا على مسلك العلماء في آداب التأليف افتتح الحافظ ابن حجر رحمه الله مصنفه بالثناء على الله تأدبا مع جلاله سبحانه، واعتராفا بفضلته وإنعامه، وإقرارا بعلمه المطلق وقدرته الماضية على جميع خلقه، وبالصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد ﷺ وعلى صحبه -رضوان الله عليهم- الذين حملوا إرث النبوة لمن بعدهم .

أولا: بداية التصنيف في علم المصطلح:

من أوائل المصنفات في هذا الفن:

- «المُحَدَّثُ الفاصل بين الراوي والواعي» للقاضي الحسن بن خلاد الرَّامَهُزْمِيّ، (ت:360هـ) لكنه لم يستوعب (كما قال الحافظ ابن حجر).

- «معرفة علوم الحديث» لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، (ت:405هـ)، وعقب عليه الحافظ ابن حجر بأنه لم يهذب ولم يرتب .

- «المُسْتَخْرَجُ على معرفة علوم الحديث» لأبي نُعَيْمٍ أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت:430هـ)، استدرك فيه على الحاكم ما فاتته في كتابه معرفة علوم الحديث من قواعد هذا الفن، وأبقى أشياء للمتعب، كما ذكر ابن حجر .

- «الكفاية في علم الرواية» لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت: 463هـ)، وهو كتاب حافل بتحرير مسائل هذا الفن، وبيان قواعد الرواية.

- «جامع بيان العلم وفضله» للحافظ ابن عبد البر (ت: 463هـ) وضع فيه أبواباً في أدب الرواية وغيرها.

- «الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع» للقاضي عياض (ت: 544هـ) وقد اقتصر على ما يتعلق بكيفية التحمل والأداء، وما يتفرع عنها لكنه جيد في بابه، وصفه ابن حجر بأنه: كتاب لطيف.

- «علوم الحديث» أو «مقدمة ابن الصلاح» لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشَّهْرَزُورِي المشهور بابن الصلاح (ت: 643هـ) قال عنه الحافظ ابن حجر: إنه هذب فنون هذا العلم، وأمله شيئاً بعد شيء؛ فلهذا لم يحصل ترتيبه على الوضع المتناسب، واعتنى بتصانيف الخطيب المفرقة، فجمع شتات مقاصدها، وضم إليها من غيرها نخب فوائدها، فاجتمع في كتابه ما تفرق في غيره.

- «التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير» لمحيي الدين النووي (ت: 676هـ) وهو اختصار لكتاب علوم الحديث لابن الصلاح.

- «الخلاصة في معرفة الحديث» لأبي محمد الحسين بن عبد الله الطيبي (ت: 743هـ).

- «التبصرة والتذكرة» أو «ألفية العراقي»: لزين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت: 806هـ) نظم فيها علوم الحديث لابن الصلاح وزاد عليه، وهي جيدة غزيرة الفوائد، وعليها شروح متعددة، منها شرحان للمؤلف نفسه.

ثانياً: التعريف بالحافظ ابن حجر وكتابه «نخبة الفكر»

1. التعريف بالحافظ ابن حجر:

أ- اسمه ونسبه ومولده ونشأته:

هو شيخ الإسلام شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد الكفاني العسقلاني المصري القاهري الشافعي يعرف بابن حجر، وهو لقب لبعض آبائه.

كان مولده في شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة على شاطئ النيل بمصر القديمة، نشأ يتيماً؛ إذ مات أبوه في رجب سنة سبع وسبعين وسبعمائة، وماتت أمه قبل ذلك وهو طفل، وكان أبوه قد أوصى به إلى رجلين ممن كانت بينه وبينهم مودة، هما: زكي الدين أبو بكر ابن نور الدين علي

الخروبي (ت:787هـ) وكان تاجرا كبيرا بمصر، والعلامة شمس الدين ابن القطان (ت:813هـ) الذي كان له بوالده اختصاص.

حفظ القرآن وهو ابن تسع سنين، وصلى بالناس التراويح إماما في المسجد الحرام وهو ابن اثنتي عشرة سنة إبان مجاورته مع وصيه الخروبي بمكة المكرمة سنة (785 هـ).

ب- رحلاته في طلب العلم:

تحدث شمس الدين السخاوي في كتابه: «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» عن رحلات الحافظ ابن حجر في طلب العلم، وهي جمة غفيرة، وأول ما رحل -كما ذكر السخاوي- في سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة إلى «قوص» وغيرها من بلاد الصعيد، ثم رحل في أواخر سنة سبع وتسعين وسبعمائة إلى الإسكندرية، ثم رحل إلى الحجاز واليمن، ولقي بمكة وبمنى والمدينة النبوية جمعا من العلماء والمسندين، ثم لما أشرف على الاستيفاء وحصول الاستيعاب لما أمكن بالديار المصرية رحل إلى البلاد الشامية للأخذ عن بها، والتقى في رحلاته جمعا من العلماء، واستفاد منهم وأفاد، وقد ذكر الحافظ السخاوي - في ترجمته للحافظ ابن حجر في الكتاب الذي أشرنا إليه آنفا- تفاصيل رحلته وحياته [الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، السخاوي، 142/1].

ج- مؤلفاته:

مصنفات الحافظ ابن حجر عديدة، منها:

- «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» وهو من أجل تصانيف الحافظ وأشهرها وأكثرها نفعا.
- «الإصابة في تمييز الصحابة» وقد ترجم فيه لصحابة رسول الله ﷺ.
- «إنباء الغمر بأبناء العمر» رتبته على السنين، أورد في كل سنة أحوال الدول وأحداثها ووفيات الأعيان مستوعبا لرواة الحديث.
- «تبصير المنتبه وتحرير المشتبه» حرر فيه كتاب المشتبه للذهبي فضبط فيه الأسماء بالحروف واستدرك فيه ما فات الذهبي من أسماء.
- «تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة» يعني رجال الموطأ ومسند أبي حنيفة ومسند الشافعي ومسند أحمد.

- «تغليق التعليق على صحيح البخاري» يشتمل على وصل الأحاديث المعلقة المرفوعة والآثار الموقوفة والمقطوعة الواقعة في صحيح البخاري .

- «تهذيب التهذيب» لخص فيه تهذيب الكمال في الرجال للمزي مع زيادات كثيرة أضافها إليه .

- «تقريب التهذيب» مختصر تهذيب التهذيب له ، يشتمل على تراجم رجال الكتب الستة .

توفي الحافظ ابن حجر رحمه الله في شهر ذي الحجة سنة: 852هـ .

2. أهمية وسبب تأليف « نخبة الفكر وشرحها نزهة النظر »:

يعد كتاب «نخبة الفكر» من كتب مصطلح الحديث المهمة في بابها الغزيرة في مادتها؛ فقد جمع فيها رحمه الله خلاصة كتب هذا الفن وزبدتها، وقد اهتم به العلماء والدارسون قديما وحديثا، وتناولوه بالدرس والشرح ووضع الحواشي عليه ونظمه، إلى غير ذلك من وجوه العناية والاهتمام به، فأصبح مدارَ اعتمادهم في هذا الفن .

وقد نص ابن حجر رحمه الله على سبب تأليف كتابه بقوله: «إن التصانيف في اصطلاح أهل الحديث ، قد كثرت للأئمة في القديم والحديث؛ فسألني بعض الإخوان أن أخص له المهم من ذلك، فلخصته في أوراق لطيفة، سميتها: نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر» .

أهتدي وأقتدي

قال الخطيب البغدادي رحمه الله: «ثم إني موصيك يا طالب العلم بإخلاص النية في طلبه، وإجهد النفس على العمل بموجبه، فإن العلم شجرة، والعمل ثمرة، وليس يعد عالما من لم يكن بعلمه عاملا، وقيل: العلم والد والعمل مولود، والعلم مع العمل، والرواية مع الدراية، فلا تأنس بالعمل ما دمت مستوحشا من العلم، ولا تأنس بالعلم ما كنت مقصرا في العمل، ولكن اجمع بينهما، وإن قل نصيبك منهما، وما شيء أضعف من عالم ترك الناس علمه لفساد طريقته، وجاهل أخذ الناس بجهله لنظرهم إلى عبادته» . [اقتضاء العلم العمل، الخطيب البغدادي، ص: 14]

التقويم

1. أذكر بعض المصنفات في علم الحديث .
2. أنسب الكتابين التاليين لصاحبيهما وأبين مميزاتهما:
- «جامع بيان العلم وفضله» - «الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع» .
3. أذكر بعض مؤلفات الحافظ ابن حجر في علم الحديث .
4. أذكر ثمرات الإخلاص في طلب العلم .

الاستثمار

ذكر الحافظ السخاوي أنه سمع شيخه الحافظ ابن حجر يقول: «لست راضيا عن شيء من تصانيفي؛ لأنني عملتها في ابتداء الأمر، ثم لم يتهيا لي من يحررها معي، سوى «شرح البخاري»، و«مقدمته»، و«المشتبه»، و«التهذيب»، و«لسان الميزان». بل كان يقول فيه: لو استقبلت من أمري ما استدبرت، لم أتقيد بالذهبي، ولجعلته كتابا مبتكرا، بل رأيته في موضع أثنى على «شرح البخاري» و«التعليق» و«النخبة».

[الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، السخاوي، 2/659].

- أقرأ النص وأستخلص ما فيه من قيم خلقية.

الإعداد القبلي

- أعد درس الخبر والأثر، وأبحث عما يلي:
1. أحدد مفهوم الخبر والأثر.
 2. أبحث عن العلاقة بين الخبر والحديث.
 3. أرجع إلى «موطأ الإمام مالك» وأستخرج مثالا للحديث ومثالا للأثر (عند من يرى الفرق بينهما).